الأصل الشرقي للفلسفة اليونانية [١]

- **معجزة الفلسفة اليونانية بحسب ديوجينيس اللائرتي**

يقول **ديوجينيس اللائرتي** معبراً عن وجهة نظر القائلين **بالمعجزة اليونانية** في كل العصور، وأن الفلسفة بدأت في بلاد اليونان لا بل الجنس البشري ذاته بدأ في بلاد اليونان ! وفي ذلك يقول اللائرتي: "ولقد غاب عن نظر هؤلاء المؤلفين أن الانجازات التي نسبوها إلى البرابرة (= الأجانب) ترجع إلى الإغريق **الذين بدأ بهم الجنس البشري ذاته لا الفلسفة وحدها** [٢] **! وهكذا نجد أن نشأة الفلسفة كانت بين الإغريق وفي بلادهم، بل إن اسمها نفسه قد استعصى على الترجمة من قبل أية لغة أجنبية** [٣]. وفيثاغورث كان أول من استخدم كلمة (الفلسفة)، وأطلق على نفسه لقب الفيلسوف (= محب الحكمة)، لأنه اعتقد أنه: "لا يوجد إنسان حكيم وأن الله وحده هو الحكيم" وينسب إليه هيراكليديس البونطي في كتابه "عن توقف الحياة peri Apnou" – أنه نطق بهذه العبارة في مدينة سيكيون Sicyon في أثناء نقاشه مع ليون Leon، الذي كان طاغية على مدينة السيكيونيين أو أهل فليوس Phlios. وعلى أثر تلك المقولة بادر الناس إلى تسمية (دراسة الفلسفة) باسم الحكمة (Sophia=σοφια)، وتسمية المتخصص فيها باسم الحكيم (Sophos =σοφος) إشارة منهم إلى بلوغه ذروة الفكر العقلي، على حين سُمي الطالب الذي يدرسها باسم الفيلسوف Philosophos (=φιλοσοφος محب أو صديق الحكمة) [٤]".

- **أفلاطون: محاورة كراتيليوس (ὁ Κράτυλος) والأصل الشرقي للفلسفة**

وقبل ديوجينيس بقرون فتح أفلاطون البابَ واسعًا كي يجدَ القائلون بالأصل الشرقي للفلسفة حجةً قويةً لتأييد وجهة نظرهم هذه. وتتمثل هذه الحجة فيما ورد في محاورة **كراتيليوس** حيث يقول أفلاطون: **"كلمة (σοφια) حكمة، غامضة جداً، وتبدو أنها ليست من أصل محلي (ويبدو أنها من أصل أجنبي)"** [٥]. ومن غير الشائع- لدى مؤرخي الفلسفة- أنَّ

---

[١] حول أصل الفلسفة، راجع: د. شرف الدين عبد الحميد أمين: "الإسهام الحضاري لمصر القديمة في الفلسفة اليونانية"، أبحاث المؤتمر الدولي، التراث الحضاري بين تحديات الحاضر وأفاق المستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر، في الفترة من ٢٤-٢٦ نوفمبر ٢٠١٣م، المجلد السادس، ص ص ١٩٦١-٢٠٢٤.

[٢] ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، الكتاب الأول، فقرة ٣. ترجمة وتقديم: د.إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني: د. محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة ١٠٣٣،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م ص ٣٠.

[٣] ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، الكتاب الأول، فقرة ٤، ص ٣٢.

[٤] ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، الكتاب الأول، فقرة ١٢، ص ص ٣٦-٣٧.

[٥] أفلاطون: محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ٤١٢ ب، ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية: عزمي طه السيد، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان،١٩٩٥، ص ١٤٩.

د. شرف الدين عبد الحميد

أفلاطون نفسَه هو من قررَ أنَّ هذه الكلمةَ **(σοφια)** ليست يونانيةً، وإنما هى كلمةٌ أجنبية [٦]. كذلك رأى أفلاطون أنَّ البحثَ عن الكلمات ذات الأصل الأجنبي والتي أخذها اليونانيون الذين كانوا تحت سيطرة البرابرة، غالبًا ما استعاروا منهم مثل هذه الألفاظ ، ومنها- وهذا يدعو إلى التعجب- أن أفلاطون أعتقد أن كلمتي πῦρ، (pyr- **نار**) وكلمة ὑδωρ (**hydwr ماء**) يعتقد أفلاطون أنها من أصل أجنبي كذلك، وأن: **"أي شخص يسعى لإظهار ملائمة هذه الأسماء وفقًا للغة اليونانية وليس وفقًا للغةِ التي منها أشتقتْ الأسماءُ، سيقع بالتأكيد في الخطأ"**. ويدلل على اعتقاده قائلاً: **" فكر فيما إذا كانت هذه الكلمة** (πῦρ- **نار**) **ليست أجنبيةً؛ ذلك أنه ليس من السهل أنْ نجدَ علاقةً بين هذه الكلمة وبين اللغة اليونانية. ويمكن ملاحظةُ أن الفريجيين (Phrygian) لديهم نفس الكلمة ولكن مع اختلاف طفيف، وكذلك كلمة** ὑδωρ **(ماء)"** [٧]. وهذه الكلمات استعملها الفلاسفة السابقون على السوفسطائيين: كلمة (ὑδωρ) سيجعلها **طاليس** أصلَ العالمِ والمبدأ الأول، كذلك سيتخذ **هيراكليتوس** من كلمة (πῦρ- **نار**) أصلاً للأشياء ومبدأً أولاً للعالم، مع علمنا منذ الآن أنهما كلمتان أجنبيتان، أي يمكن أنْ يكونا مصطلحين أدخلهما طاليس وهيراكليتوس إلى بلاد اليونان من بلاد الشرق وعلى رأسها مصر. وهذا هو ما قرره **مارتن برنال (M.Bernal)** في كتابه **أثينة السوداء**: "الفلسفة (حب الحكمة) (φιλοσοφία) كانت نتاجًا مصريًا ولم يكن ممكنًا ألا أن تكون كذلك. حقيقة أنَّ هذه الكلمةَ (الفلسفة) كان يستخدمها الفيثاغوريون المتمصرون (المنتمون ثقافيًا لمصر) لبعض الوقت- منذ القرن السادس قبل الميلاد" [٨]. هكذا يفتح أفلاطون البابَ على مصراعيه لمن يريد أنْ يدخلَ الفلسفةَ الشرقيةَ باعتبارها أصلاً سابقًا على الفلسفة اليونانية [٩].

هذا عن أفلاطون فماذا عن أرسطو ؟

- **أرسطو: محاورة في الفلسفة (περι φιλοσοφιας) والأصل الشرقي للفلسفة**

هذه المحاورة وضعها أرسطو في الطور الثاني، طور التنقل، بعد موت أفلاطون سنة ٣٨٤،(أو في سنة ٣٥٠-٣٤٩ وكلها تواريخ تقريبية وافتراضية كما يقول **كروست** [١٠]). ومهما كان تاريخ كتابة محاورة في الفلسفة فهي تمثل بحق معلمًا مهمًا من معالم مذهب أرسطو وتطوره [١١]. وقد استمر الطور الثاني حتى عودة أرسطو إلى أثينا وتأسيس الأكاديمية (من سنة ٣٥٥ – ٣٣٦). وقد أثبت **فيرنر بيجر** أن هذا الدور الثاني كان الأساسَ لكل فلسفة أرسطو،

---

[٦] ذكر د. مصطفى النشار أن هذه الحقيقة قد اكتشفها بالصدفة أثناء قراءته لمحاورة كراتيليوس لأفلاطون، انظر: د. مصطفى النشار: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٧م، ص ٤٩.

[٧] أفلاطون، محاورة كراتيليوس، ٤٠٩د-هـ، ص ص ١٤٣-١٤٤.

[٨] مارتن برنال: أثينة السوداء (الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية) الجزء الأول، تلفيق بلاد الإغريق (١٧٨٥-١٩٨٥)، تحرير ومراجعة وتقديم: أحمد عتمان، ترجمة لفيف من العلماء، المشروع القومي للترجمة، القاهرة،١٩٩٧م، ص ٢١٢.

[٩] د. شرف الدين عبد الحميد: " ثيولوجيا التأريخ تأويل أفلاطون لبعض الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين" بحث ألقى في المؤتمر السنوي الدولي الثالث لقسم الفلسفة، جامعة الإسكندرية، كيف نقرأ الفلسفة ؟ (في الإبداع ونقد النقد)، الفترة من ٧-٨ نوفمبر ٢٠١٧.

[10] A. H. Chroust: Aristotle, New Light on his life and some of his lost works, Vol II, Observations on some of Aristotles Lost works, Routledge & Kegan Paul, London, 1973.p14.

[11] W. K. C.Guthrie:A History of Greek Philosophy.Vol. VI ,*Aristotle, An Encounter*, Cambridge Universty Press, New York, 1990. P.83.

د. شرف الدين عبد الحميد

ولكن لم يبق من هذه المحاورة إلا شذرات [١٢][١٣]. وفي هذه المحاورة لم يقتصر تأريخ أرسطو للفلسفة على الفلاسفة اليونان، من طاليس فصاعدًا (تقول كاثلين فريمان [١٤]: بالنسبة لأرسطو وبالنسبة لنا- تعني الأوربيين- فإن العلم والفلسفة يبدآن بطاليس)، كما فعل فيما بعد في كتابه "الميتافيزيقا"، بل على العكس عاد إلى تأريخ الفلسفة بدايةً من الشرق [١٥]. فذكر الشرقيين، وإبداعَهم باهتمام واحترام [١٦]. وذكر المصريين (وقد أبقى على ذكرهم وحدهم في كتاب الميتافيزيقا باعتبارهم مؤسسي الرياضيات[١٧] وأغفل بقية الشرقيين ! [١٨])، أما المجوس (The Magi) أو الزرادشتيين (Zoroastrians) فقد اهتم بهم أرسطو كثيرًا في محاورة في الفلسفة [١٩]. فقد أشار مثلاً إلى أن الزرادشتية: "أكثر الطوائف الفلسفية وضوحًا ونفعية". وإن كانت هذه الشذرة مليئة بالأخطاء التاريخية فهو يرى أن المجوس أكثر قدما من المصريين وإن زرادشت قد عاش ستة آلاف سنة قبل وفاة أفلاطون! [٢٠]. على أية حال فإن هذا الكم من الحقائق عن الحكمة ووضع تواريخ مختلفة للثقافات الشرقية واليونانية يخالف تمامًا ما انتهى إليه تطورُ فكرِ أرسطو التأريخي في كتاب الميتافيزيقا حيث قرر أن طاليس- وحده- هو مؤسس الفلسفة. لكن في مرحلة " في الفلسفة" يفرق أرسطو بين الأفكار الدينية والشكل الذي ظهرت فيه، حيث أراد أرسطو أن يؤكد على اعتقاده بالدورة الطبيعية في إحياء الحقائق القديمة وظهورها من جديد في التاريخ البشري [٢١]، وبذلك يكون أرسطو قد تجاوز في محاورة في الفلسفة فلك الفلسفة اليونانية وذكر فلاسفة وحكماء الشرق. وهو ما لا نجده في كتابه الميتافيزيقا، حيث احتفظ بأسبقية بداية الفلسفة لليونان وحدهم [٢٢]. واعتبر أن طاليس هو أول شخص استند إلى التجربة والدليل في تفسيراته بدلاً من رواية الأساطير [٢٣]. وقد خلف أرسطو وراءه إشكالية مصدر الفلسفة اليونانية؛ هل هو يوناني خالص أم أن الشرقيين لهم مساهمةٌ فيه ؟ وهى الإشكالية التي اختلفت حولها آراءُ الباحثين وما زالت تختلف حتى الآن.

---

[١٢] مها أحمد السيد الشناوي: محاورات أرسطو وأصولها الأفلاطونية، الطبعة الأولى، تقديم: د.محمد فتحي عبد الله، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٣٧٠.

[١٣] أرسطو: محاورة في الفلسفة ترجمة، مها أحمد السيد الشناوي، ضمن كتابها: محاورات أرسطو، المرجع السابق، ص ص ٣٤٥-٣٦٧.

[14] K. Freeman: *The Pre-Socratic philosophers*, 2nd ed. Basil Black Well Oxford, 1959.p .xi.

[15] C.J.DE Vogel: Greek History, A collection of Text, Vol II, Aristotle, The Early Peripatetic School And The Early Academy, The Netherlands Organization, Leiden ,1953. p. 28.

[16] Werner Jaeger: Aristotle, Fundamentals of the History of His Development, trans with the authors corrections and additions by, Richard Robinson, second edition, Oxford at the Clarendon Press,1986. .p. 128.

[17] J. Burnet, Early Greek Philosophy, 4 th ed, Adam & Charles-Black, London, 1975.,p.15.

(١٨) أرسطو: الميتافيزيقا، الكتاب الأول، ١، ٩٨١ ب، ٢٠-٢٥، ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، د. إمام عبد الفتاح إمام، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، الطبعة الرابعة، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢٦٧.

[19] Werner Jaeger, Aristotle.p. 133.

(٢٠) أرسطو: محاورة في الفلسفة، شذرة رقم ٦، ترجمة مها أحمد السيد الشناوي، ص ٣٤٦.

(٢١) مها أحمد السيد الشناوي: محاورات أرسطو، ص ٣٧١-٣٧٢.

[22] A. H. Chroust, Aristotle, p209.

(٢٣) هانز جورج غادايمر: بداية الفلسفة ، ترجمة على حاكم صالح و حسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٧.

د. شرف الدين عبد الحميد

ولكن- في كلتا الحالتين- لن يخرج الباحثون عن رأي أرسطو؛ فالذين يقولون بـ"الأصل الشرقي للفلسفة" ينطلقون من رأي أرسطو الذي أثبته في محاورة "في الفلسفة"؛ والذين يقولون بـ"المصدر اليوناني الخالص"، وبـــ(المعجزة اليونانية)، يذهبون مذهب أرسطو في كتابه "الميتافيزيقا"(μέτα τα φυσικα) ! [٢٤]

د. شرف الدين عبد الحميد

(٢٤) د. شرف الدين عبد الحميد: " منهج نزع الأسطورية: تأويل أرسطو لبعض الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين"، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد السادس والثلاثون، مارس ٢٠١٤م ص ص ٢٨٥-٢٨٦.